مغامرة اجتياح غزة : جيش الإحتلال يحتاج إلى أعداد مضاعفة... والنتائج ستكون مروعة

20-9-2003

في جيش الإحتلال أعدوا الخطط التفصيلية ووضعوا أهدافا على الخرائط ولكنهم لا يزالون مترددين جراء التحذيرات من أن هذه المغامرة غير مضمونة النتائج. وفي قيادات الجيش عرضوا عدة أشكال للعملية القادمة ورغم أنهم حاولوا الإستفادة من تجربة السور الواقي في الضفة الغربية، إلا أنه عند المقارنة بين المنطقتين (الضفة وغزة) من الناحية الميدانية العسكرية تبدو الأمور معقد

بقلم وسام عفيفة

لا يزال السؤال حول المغامرة العسكرية القادمة لرئيس وزراء حكومة الإحتلال اريئيل شارون قائماهل سيدخل جيش الإحتلال إلى غزة؟ ومتى؟

في جيش الإحتلال أعدوا الخطط التفصيلية ووضعوا أهدافا على الخرائط ولكنهم لا يزالون مترددين جراء التحذيرات من أن هذه المغامرة غير مضمونة النتائج. وفي قيادات الجيش عرضوا عدة أشكال للعملية القادمة ورغم أنهم حاولوا الإستفادة من تجربة السور الواقي في الضفة الغربية، إلا أنه عند المقارنة بين المنطقتين (الضفة وغزة) من الناحية الميدانية العسكرية تبدو الأمور معقدة. وعليه يمكن توقع سيناريوهات للاجتياح القادم بناء على تصريحات العسكريين في جيش الإحتلال وما تنشره الصحافة الإسرائيلية وبناء على تجارب الإجتياحات السابقة لجيش الاحتلال في مناطق قطاع غزة وأخيرا من خلال معرفتنا بالظروف الميدانية للسكان والمقاومة في مختلف مدن القطاع.

* اجتياح العمق:

اجتياح قطاع غزة يعني ببساطة التوغل في مساحة 360 كيلومتراً مربعا هي مساحة القطاع المحاط بالسياج الأمني والمستوطنات، ويحده من الغرب البحر، ومن الجنوب الشريط الحدودي مع مصر. الهدف المعلن من وراء الحملة اسرائيليا هو القضاء على بنية (الإرهاب) كما يسمونه وعلى رأسه حماس ولكن على أرض الواقع سيصبح المستهدف الحقيقي أكثر من مليون ونصف شخص، إذ سيكونون معرضين للقتل والإعتقال والحصار وتقسيم المدن وربما حظر التجول مع الإشارة إلى أن 85 في المئة منهم لاجئون يعيشون في ثمانية مخيمات موزعة على طول القطاع.

وعلى سبيل المثال فإنهم في جيش الإحتلال عندما سيقومون باجتياح مدينة رفح - كما يفعلون في نابلس- فإنهم سيواجهون أكثر من 130 الف شخص على الأقل يعيش نحو ثلثهم في مخيم الشابورة في مساحة لا تزيد عن كيلومتر واحد، أي أنهم عندما سيقومون باقتحام هذا المخيم من خلال أسلوب (من بيت إلى بيت) كما في مخيم بلاطة فإنهم سيحتاجون لقوات مضاعفة وسيصطدمون في كل لحظة بمئات السكان. هذا النموذج يوضح ما يعنيه التوغل إلى عمق الشوارع والأزقة والمنازل، أي إلى عمق المقاومة واليأس والإحباط والقهر وهو ما يعترف به الصحفى الصهيوني اليكس فيشمان، حيث يرى أنه قبل الإعلان عن الهدنة دخل جيش الإحتلال إلى مدينة غزة لثلاث ساعات لتدمير مخرطة لصناعة صواريخ القسام. من هنا يستنتج أن الدخول إلى غزة - المكان الأكثر ازدحاما في العالم - بسكانها المليونين والمكوث هناك لفترة زمنية محددة لتدمير البنية التحتية (للإرهاب)، يتطلب ما لا يقل عن ثمانية إلى عشرة ألوية من

سلاح المشاة والمدرعات.
الضفة مقسمة إلى خمس وحدات، أما قطاع غزة فمقسم إلى ثلاث. في كل مرة يدخل فيها الجيش إلى غزة يقسمها إلى ثلاث وحدات، شمال ووسط وجنوب، والمتوقع أن كل منطقة من هذه الوحدات ستحصل على قيادة فرقة على الأقل. وما لم يشر إليه الصحفي الإسرائيلي هو أنه سيتم التوغل في مناطق ومدن مليئة بالسلاح الخفيف والوسائل القتالية الأخرى المصنعة محليا مثل الألغام والعبوات التي تشكل السلاح الأبرز في المواجهة والاجتياحات والآليات العسكرية المصفحة تصفيحا قويا إلى جانب القنابل اليدوية وقذائف ار بي جي، وبي 7 وغيرها من الوسائل.
عملية الإجتياح لن تكون جديدة على السكان الذين تعرضوا لنماذج عديدة منها ولن تكون أيضا عسيرة على جيش الإحتلال بحكم التجارب السابقة، ولكن تبقى الأسئلة المطروحة، ماذا بعد الإجتياح؟ وكيف سيتعامل جيش الإحتلال مع المقاومة ومع السكان؟ وماذا يمكن أن يحقق الإحتلال من وراء هذه الحملة؟
* سيناريوهات العملية
بتاريخ 28-8-2003 ذكرت صحيفة "يديعوت أحرونوت" أن الجيش الإسرائيلي على أهبة الإستعداد لاقتحام كبير لمناطق في قطاع غزة، مشيرة إلى أنه في انتظار تلقي أوامر بذلك. وأضافت الصحيفة على موقعها الإلكتروني أن ضباطًا كبارًا في قيادة المنطقة الجنوبية في الجيش الإسرائيلي قالوا: "إن الجيش مستعد لاستئناف العمليات البرية في عمق قطاع غزة...". وأضافوا: "إن وقوع عملية كبيرة ضد إحدى المستوطنات الإسرائيلية في قطاع غزة، أو ضد أحد المواقع العسكرية الإسرائيلية في محيط قطاع غزة، لن يترك أمام المخططين العسكريين شكوكًا كبيرة؛ لذا فإنه سيتم البدء في تنفيذ خطط عسكرية لعمليات برية كبيرة في عمق قطاع غزة". ورغم ذلك فإن المقاومة استمرت والعمليات تواصلت ولم يتم الاجتياح بعد لأن تهيئة الرأي العام الإسرائيلي لتقبل ما سينتج عن مثل هذه المغامرة لازال في مرحلة الترويض ولأن المتغيرات الميدانية في كل يوم تخلق ترددا وربما تغييرا في الخطط العسكرية التي تتمحور حول شكلين:
- الإجتياح بالتقسيط أي بعد تقسيم القطاع وعزل المدينة أو المنطقة المستهدفة على أن تكون أحد أبرز معاقل "حماس" كما يسمونها وتنفيذ أسلوب من بيت إلى بيت إلى حين تحقيق معظم أهداف الحملة ثم الإنتقال إلى منطقة ثانية، ويبدو واضحا أن هذا الشكل من الخطط سيكون له تأثير أمني عسكري بالدرجة الأولى وقد لا يسترعي الإهتمام العالمي والإعلامي بشكل كبير.
- أما الشكل الآخر الذي يدور الحديث عنه هو الإجتياح الشامل لكافة أنحاء قطاع غزة، وحول ذلك يقول الصحفي فيشمان الدخول الى غزة لن يسقط على المنطقة كبرق في يوم صاف، احتلال غزة يعني بالحسابات البسيطة تجميع الجهود بمشاركة 40 - 50 ألف جندي، أغلبيتهم من جنود الإحتياط، وهؤلاء بحاجة إلى تجنيدهم وتدريبهم. ولن يخطر ببال أحد أن يدخل إلى غزة بأقل من ثلاث فرق مدرعة. في عملية "السور الواقي" استخدم جيش الدفاع قيادة كتيبة لكل قطاع جرى اقتحامه. قبل ثلاثة أسابيع عندما تم تطويق القصبة في نابلس ونفذت عمليات تمشيط من بيت إلى بيت كان حجم القوات أكثر من لواء مشاة نظامي وجيد التدريب. ويتابع : كما أن تكثيف القوات سيعوض عن ثغرة المعلومات والنواقص الإستخبارية ذلك لعدم المعرفة التامة بما يحدث هناك منذ أن غادر الجيش القطاع في أواسط التسعينيات. كما أن أحدا لا يتخيل أن هذه عملية سريعة خاطفة، فالحفاظ على حياة جنودنا يتطلب الحذر والإبطاء، ولذلك قد تمتد عملية السيطرة إلى أيام أو أسبوع وبعدها ستبدأ عمليات التمشيط وتدمير البنى التحتية كما حدث مع القصبة في نابلس، ولكن بأحجام أكبر.
* شكل المواجهة
الدخول إلى المخيمات في القطاع وشكل المعركة سيكون أقرب إلى معركة مخيم جنين خلال

حملة السور الواقي، حيث يدرك جيش الإحتلال كيف كان شكل المواجهة كما اكتسبت قوات الإحتلال خبرات تدريبية وميدانية خلال عمليات التوغل السابقة لمدن القطاع، والمقاومة أيضا اكتسبت خبرة في المواجهة والتصدي للإحتلال، وفي ظل المعطيات الميدانية لظروف قطاع غزة فإن الإشتباكات سوف تكون من حارة إلى حارة ومن بيت إلى بيت وحتى من غرفة إلى غرفة وسوف تكون النتائج قاسية ولكنها لن تحسم لصالح الإحتلال، وعلى هذا يؤكد أيضا فيشمان الذي يرى أن الوصول إلى قادة (الارهاب) وربما النشطاء "الإرهابيين" يتطلب الدخول إلى كل بيت وجمع الوسائل القتالية وتدمير المعامل والأنفاق والمخازن. وحدات المشاة ستنفذ المهمة من شارع إلى شارع ومن حي إلى حي مع مساندة المروحيات القتالية. وإذا كان أحد يريد إعادة الوضع إلى سابق عهده وتنظيف القطاع من سنوات (الإرهاب) التسع فيجب عليه أن يقوم بعمليات تستغرق عدة أسابيع وستترك من ورائها بالتأكيد دمارا هائلا. ويرسم فيشمان صورة لأحد أشكال المواجهة المتوقعة بالقول : تخيلوا دخول الدبابات في الأزقة وما يترتب على ذلك من دمار. وما إن يدخل الجيش في العمق سيضطر أحد ما للاهتمام بأمور السكان من طعام ومجاري وعلاج طبي، هذا من دون أن نتطرق للخسائر المتوقعة من الإحتكاك العالي جدا مع السكان المكتظين والعدو الأصولي الذي يختبىء في داخلهم.

من ناحية أخرى، قالت صحيفة "فورين ريبورت" البريطانية، الخميس 18/9/2003، إن الحكومة الإسرائيلية تخطط لاحتلال قطاع غزة، لأن السياسة التي اتبعتها إسرائيل، حتى الآن، والتي استهدفت اغتيال قادة التنظيمات الفلسطينية المسلحة، دون التوغل والبقاء لفترة طويلة في قطاع غزة، أثبتت فشلها. وحسب المصدر الإسرائيلي الذي تم اقتباسه في التقرير الصحفي، فإن العملية مخططة لشهر أكتوبر/تشرين الأول، بمشاركة ما لا يقل عن 50 ألف جندي إسرائيلي. وحسب المصدر نفسه، فإن جنود الوحدات الخاصة سيقومون بتمشيط المنازل من بيت إلى آخر، بحثاً عن المطلوبين وقتلهم.

وإلى ذلك الحين تبقى العديد من من القضايا مرهونة بالهستيريا الإسرائيلية نتيجة الضائقة التي يعيشها الصهاينة دون أي أفق للحل.

للعودة للأعلى